

الفاشية و النازية

- مقدمة:

تدعى الفاشية الإيطالية أنها تحاول الانتصار على الأخطاء الفردانية لثورة 1789 و الأخطاء الجماعية لثورة 1917. فمن الناحية الإيديولوجية، تقدم الفاشية نفسها على أنها رد فعل وطني متشدد و متسلط ضد ضعف الدولة خلال القرن 19 و بداية القرن 20، هذا الضعف الذي سببته التوجهات الليبرالية و الاشتراكية. و هدف الفاشية هو استبدال الدولة الديمقراطية-الليبرالية الأقلية بنمط جديد لدولة قوية. و الفاشية بهذا المعنى هي في نفس الوقت، رد فعل انعكاسي ضد الليبرالية، و حركة وقائية تجاه الاشتراكية و الشيوعية. و بشكل بسيط فإن كلمة فاشي *Faisceau* تشير إلى جماعة من الأفراد مرتبطة بقوة فيما بينها، بهدف القيام بعمل غير محدد.

1/- الدولة الوطنية في الفكر الفاشي:

تمثل الدولة الفاشية وصفة سياسية لمجتمع وطني، لا ينحصر في الأفراد. فهتة الدولة الفاشية تمتلك شخصية قانونية و حياة عضوية، و لها قيمة خلقية باعتبارها وحدة بشرية أساسية. و تعتبر هتة القيمة ملكا لته الدولة الفاشية ليس باعتبارها الواقع الأول، و لكن باعتبارها تجسيدا لمشروع مثالي و ملموس في نفس الوقت: إنه مشروع الأمة. إن الفاشية بمفهومها المحدد تلغي كل مفهوم فردي للأمة-الجزء التي تجد مصدرها في المذهب الثوري الفرنسي للسيادة الوطنية. **تعتبر الفاشية الأمة كوحدة خاتمة و مستقرة (ثابتة) للحياة الأخلاقية و المادية. هتة الأخيرة تنتج من الوعي النشط و الدائم و المتمركز حول فكرة التضامن؛ ليس تضامن في المكان فقط، و لكن عبر الزمن كذلك. تضامن عبر الزمن يقوم على رابطة لا تجمع بين المعاصرين فحسب، و لكن كذلك مع الأماوات و الأجيال القادمة. و هكذا يصبح مفهوم الأمة يشير إلى *Stirpe* أي الأصل أو هجرة « *Souche ou Lignée* » النسب، هذا إن استعملنا ترجمة هذا المصطلح الإيطالي الخاص.**

و كما تقول المادة 1 من ميثاق العمل (1927): " الأمة هي منظمة لها وجود، أهداف، وسائل حركة أقوى من حيث القدرة و الزمن مقارنة بالوسائل التي يمتلكها الأفراد المعزولين أو المجتمعين الذين يشكلون هتة الأمة ... هي وحدة أخلاقية، سياسية و اقتصادية، إنها تتحقق كلية في الدولة الفاشية ":

أ/- **وحدة أخلاقية:** إن الدولة-الأمة حسب تصور المنظرين الفاشيين هي وجود (جوهر) لا مادي. فكل الأرواح تجتمع فيها، و كل واحد يجد فيها أسبابه الزمنية في هتة الحياة: الفكرة و الولع أو العاطفة *Pensée et Passion*، التقاليد و الطموحات، الفن و العلم، العمل و الراحة. و الدولة بهذا تمنح مركبا لكل القيم البشرية، بحيث تصبح هتة الدولة مقياسا لته القيم.

ب/- **وحدة سياسية:** فالدولة-الأمة تشبع التطلعات الوطنية *Les Aspirations Nationalitaires* للحياة المشتركة في الدولة، حسب أطروحات *Mancini*. و مع ذلك، فإن المذهب الكلاسيكي القائم على مفهوم النهضة الذي تم تطبيقه على الحركة السياسية و الإيديولوجية التي سمحت بدمقرطة و توحيد إيطاليا خلال القرن التاسع عشر؛

« *Risorgimento* :renaissance appliqué au mouvement idéologique et politique qui a permis l'unification et la démocratisation de l'Italie au XIX siècle. » قد تم رفضه من طرف الفاشية باعتباره قد تلطّخ بالفردانية و فلسفة حقوق الإنسان. إن وحدة الجماعات الوطنية تنتج من بروز الوعي بأهدافها (الجماعات الوطنية) الخاصة و التي تتحدد على ضوء تعارضها مع أهداف الجماعات البهرية المتعاضدة أو المتنافسة. خير أن بروز هذا الوعي ليس أبدا ظاهرة تلقائية و لا مجسولة. الأمة هي تهكلة إرادية و تسلطية، و هي تتحقق بفضل الدولة التي تجسدها و تدمجها. و انطلاقا من تضامن تلقائي، و منتهر، تؤسس السلطة وحدة من شأنها فرض الذات على المستوى الداخلي و الصراع ضد أعدائها خارجيا.

ج/- **وحدة اقتصادية:** ينجر عن الدولة-الأمة وصفة لتحقيق الإكتفاء الذاتي للإقتصاد، هتة الوصفة تكون نتاج حركة موضوعية و إيجابية للحكومات و بروز وعي أخلاقي للأمة. و من دون شك فإن إنعكاسات الأزمة الإقتصادية العالمية قد ساهمت في دخول إيطاليا في حالة إقتصاد قائم على فكرة الإنعزال و الاكتفاء الذاتي، غير أن إيطاليا قد فضّلت هذا القرار وفقا لمفهومها المسبق للدولة و مذهبها في العلاقات

الدولية. و هنا، فإن الفاشية تعكس النظرية الماركسية لصراع الطبقات من المستوى الداخلي إلى المستوى الخارجي. و على هذا الأساس لم يصبح الأفراد هم الرأسماليون أو البروليتاريون و لكن الدول. فحسب *Enrico Corradini*، أحد الأوائل الذين مهدوا لموسيليني، فإن إيطاليا هي أكبر البروليتاريات في مواجهة الأمم القديمة و هي: الولايات المتحدة، إنجلترا، فرنسا. فالثورة لا توجد إلا إذا كانت وطنية و جماعية؛ فهي غير محببة باعتبارها نتيجة جهد فردي، تتحدد وفقا لمعيار واحد هو معيار الربح الشخصي؛ فهي لا تقاس إلا وفقا لرفاهية و قوة الدولة. " مجموع الإنتاج يشكل وطنيا وحدة " (المادة 2 ميثاق العمل).

2/- التمييز العنصري الهتلري:

وصلت الهتلرية إلى السلطة بعد عشر سنوات من وصول الفاشية إليها. و هو ما يجذبنا إلى محاولة إيجاد ترابط و علاقة نسب بينهما. و موسوليني نفسه حاول جاهدا أن يقدم نفسه على أنه حامي هتلر وفقا لمنطق علاقة الأستاذ بالمرشد. كما يمكن أن نشير إلى التشابه الخارجي في: الملابس، الإحتفالات، أنماط التباهي بالشعور الجماهيري. غير أن التقاطع و التلاقي الحقيقي بين الإثنين يتمثل أساسا في الرفض الكلي و العميق و المطلق للشيوعية الروسية و الديمقراطية-الليبرالية في الدول الغربية. و هذا الاعتبار هو الذي كان يقودهما لتأسيس المحور روما-برلين و الحرب العالمية الثانية.

إن هته التشابهات السطحية أو العميقة تترك المكان على المستوى الفكري لتعارضات واضحة. فيما يتعلق بتشكيل الإيديولوجيات، فإن الاختلاف واضح جدا بين *Le Duce et Le Führer*. ففي حين نجد أن موسوليني كان صحافيا ذو تأثير قوي، لم يعبر عن أفكاره إلا من خلال مقالات قصيرة جدا، نجد هتلر يكتب كتابا ضخما " كفاحي " و الذي من خلاله جاء بإيديولوجية جديدة، ليس فقط سياسية، و لكن فلسفية و اجتماعية كذلك.

غير أنه لا يمكننا تجاهل الاختلافات بين الفاشية و النازية؛ فإذا كانت الأولى دولاية فإن الثانية هي في جوهرها تمييز عنصري. فقد أعلنت الاشتراكية-الوطنية عن أولوية *Le Volk* و مصطلح ألماني يعني بالفرنسية " الشعب " و " الأمة " في نفس الوقت، و تشير إلى فكرة أمة باعتبارها واقع عضوي، كمجموعة *Une Communauté* و ليس كمجتمع مكون من مخلوقات بشرية تنتمي لنفس الجنس، نفس الجسد، و كذلك الأخلاق، و الكل ينتمي إلى نفس العرق. فإزاء *Le Volk* يخفي الفرد: " لست شيئا، شعبك هو كل شيء ". إذن تنطوي الاشتراكية-الوطنية على سياسة تمييز عنصري حادة، و التي لن تظهر في الفاشية إلا متأخرة و بشكل محتشم. و هته السياسة تقدم مظهر ثلاثي:

. زيادة و تثمين النخبة الشمالية التي ما زالت قائمة في الشعب الألماني . إدماج داخل هذا الشعب الألماني كل " الأجناس الوديدة *Les Races Passives* " الأقل قيمة بحيث يتم الحفاظ عليهم خارج السلطة . القضاء الكلي على الجنس اليهودي، و هي نفسها تمثل نقبض القضية للأرية، من خلال الطرد، العزل، و التهديم.

و فيما يخص السياسة نفسها، فإن دور الدولة و المؤسسات قد تحدد و تم النظر إليه خلافا لما هو قائم في إيطاليا. فهي حين نجد الدولة بالنسبة لموسوليني عبارة عن غاية فهي ذاتها، فإنها بالنسبة لهتلر لا تعدو أن تكون سوى وسيلة، جهاز تأطيري و تقني و إداري. و هي حين أن مسألة بناء الدولة هي المسألة الجوهرية عند الفاشية، فإن النازية تنظر لذلك على أنها ثانوية. فالنظام النازي من وجهة نظر هيكلية كان ضعيفا جدا، باعتباره أن قوة الدولة كانت مركزة في يدي هتلر، فهو القاضي السيد للشعب الألماني، بحيث أن التعبير عن إرادته، الإدارة تأتمر بأوامره، و الجيش يوجد تحسب لإدارته و إشرافه.

يتم الحصول على هته السلطات الواسعة بشكل مباشر. *Le Führer* و باعتباره التعبير نفسه عن *Le Volk* فهو بذلك يمتلك سلطاته و يترجم إرادته: " إنكم ألمانيا، قال رودلف هاس لأدولف هتلر. فعندما تتحركون، فإن الأمة هي التي تتحرك، و عندما تحكمون، فإن الشعب هو الذي يحكم ".

3/- الفاشية و النازية: مختلف التفسيرات :

أ/- التفسير الثقافي *L'explication Culturaliste* : يقوم هذا التفسير على فكرة الاقتراب من فهم الفاشية من خلال التركيز على الخصوصيات الوطنية. لقد طبق هذا النمط التفسيري في إيطاليا الموسيلينية في السنوات الأولى. و في شكله الأكثر بدائية، فإن هذا التحليل

يرتكز على تعرية وجع وطني *Un Mal National* بحيث تعتبر الفاشية تعبيره الأكثر قوة و عنفا. وهكذا يصبح نجاح الفاشيين الإيطاليين هو " الإنفجار الأخير لهذا الوجع المحتجّر لدى الإيطاليين، و المركّب من عادات عدم الطاعة، و غياب الحبس المدني ... الرشوة، باختصار مركّب من عيوب موروثه من قرون الحكومة الاستبدادية " .

إن أطروحة الوجع الإيطالي *Le Mal Italien* (أو الألماني، أو الإسباني) لا تعود إلى البسيكولوجيا المظلمة للشعوب بالضرورة؛ على الأقل فإنها تفسّرها من خلال خصوصيات التاريخ الوطني: كل ما سبق الفاشية قد قاد بالضرورة إليها. وهكذا يرى المؤرخ الأمريكي دونيس ماك سميث Denis Mack Smith في التاريخ الإيطالي الممتد بين 1861 و 1922 استمرارية " لديكتاتورية برلمانية إيطالية " و التي " قدّمت اختلافات طفيفة بين حكم كل من Crispi-Depretis، أو Giolitti؛ ليصبح موسوليني الوريث الشرعي .

و هناك كذلك مقارنة مناظرة لها، تركّز على الثقافات السياسية. فقد حاولت هته المقاربة البحث عن مفتاح النازية في العقل الألماني، أو أكثر من ذلك في الروح الجرمانية. و هكذا تم وضع علاقة قرابة بين اللوثرية و الوطنية-الاشتراكية. لقد لاحظت السوسيولوجيا الأمبريقية أن التصوّب النازي كان كئيها في المناطق البروتستانتية؛ لقد أخذ التاريخ الحديث L’histoire Evénementielle أن أخلبية أحماء الكنيسة البروتستانتية قد قبلوا بالتطهير و القضاء على Les Pasteurs الذين لم يكونوا من الجنس الأري؛ لقد خرج مؤرخ الألمان هذا الضل بالأثار السياسية للوثري الذي يضمن الحرية للضمير الفردي و يدعو إلى طاعة السلطة الخارجية ممّا كانه. إن التصوّف البروتستانت *Le Mysticisme Protestant* نفسه، يفترض أنه شجّع الطاعة العمياء من طرف الألمانين لـ *La Mystique Profane* التي مثّلتها النازية. كما تمت الإشارة إلى البروسية *Le Prussianisme* باعتبار أنها أدت إلى " أحادية *L’uniformisation* الطاعة غير الواعية للسلطات ...". لقد عمل بيسمارك على تحضير هتلر من خلال غرس عبادة منطق الدولة *La Raison d’Etat*.

إن الترجمة الأكثر تبلورا لهته الأطروحة، قد قدّمت من طرف الفرنسي إدموند فرماي Edmond Vermeil المتخصص في الشؤون الجرمانية، فحسب اعتقاده فإن كل التاريخ الألماني قد هيمنت عليه الرومانسية المنظمة *Le Romantisme Organisé*. فقبل وصول هتلر للسلطة، لم تكف الرومانسية و التنظيم (المنظمة) من التصارع و يوجد في الحقيقة إثنين من ألمانيا: ألمانيا الواقعة في الشمال الشرقي، و هي عقلانية، موحّدة و هي بروسية إذن؛ و ألمانيا الواقعة في الجنوب الغربي و هي، تميل للخصوصيات، مفتتة، مسكونة من طرف المزارعين الصغار، و رومانسية. فالنازية تدبّر إنطلاقا من هته الإزدواجية الأساسية و التي يدمجها في ديدناميكيتها و عندها باتجاه إحادية خياطة الشرخ الذي تم حفره على مر التاريخ الألماني. و كل هذا يمثل شكل من العسكريةتارية المؤسسة على القوة و التي تدفع ألمانيا إلى التباهي بكل أخطائها.

لقد قام عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز بشرح النجاح الهتلري من خلال أزمة نظام القيم الألماني في جوهره، و الذي ينتج من سبعة خصائص جرمانية هي : . إقطاعية قائمة، . بيروقراطية قوية، . نموذج حكومة لوثري، . هيمنة اللوبيات على الأحزاب، . صناعة تغلب عليها البيروقراطية، . ذوق خاص للألقاب التشريفية، . علاقات عائلية شديدة الشكلية يتم تعويضها بصداقات رجولية *Des Amitiés Viriles*. إن ألمانيا المصدومة بهزيمة 1918 و كل الأزمات التي أعقبتها، تكون قد دخلت في حالة أنوميا، حالة قطيعة لنظام القيم، و من رحم كل هذا خرجت إذن النازية.

ب/- التفسير وفق مفهوم " الحكم الشمولي " : يقوم هذا التفسير على فكرة الديكتاتوريات الجماعية في العصر الحديث *Les Dictatures de Masse des Temps Modernes* سواء كانت حمراء أو سوداء، فاشية أو شيوعية. لقد كان أصحاب التفسير بمفهوم الشمولية ينتسبون لليمين المناهض للفاشية، كما نجد منهم كذلك الماركسيين المناهضين للستالينية. ألم يكتب كارل كوتسكي، أن موسيليني كان قرد لينين. لقد كان هيرمان روشنيغ Hermann Rauschning الحاكم النازي السابق لمدينة دانزينغ من كشف عن " البلشفة، اشتراكية الدولة، الإمبراطورية العسكرية و الشمولية " التي تحتفي وراء الرمز النازي. و نفس الشيء بالنسبة لبعض رجال اليمين الذين قبلوا النازية، لأنهم يرونه قبل كل شيء كنقيض للشيوعية. و في خضم سنوات الثلاثينات، فإن ثورة أكتوبر هي التي ستحدّد من جديد ردود الفعل تجاه هتلر. أما

العشرية التي تلت هته الفترة فقد أعطت الكلمة لعلماء السياسة،الذين قاموا ببناء نماذج أكثر تجريدا،و ذات مظهر أكثر حيادية.و كان **هانس كون Hans Kohn** أول من قام بإجراء مقارنة بغية تحديد نقاط التشابه و الاختلاف بين الشيوعية و النازية.و يمكن تلخيص نموذجه الديكتاتوري كما يلي:

الشيوعية	النازية
الهوية الاجتماعية	
الحكام ينحدرون من الطبقات الدنيا	
الدعائم جماعات اجتماعية معارضة للطبقات الحاكمة	
الهوية الإيديولوجية صراع ضد كل الأديان	
الإدعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة	
الإرادة في أن تكون شبيبة العالم	
الاختلافات في نمط الديكتاتورية	
ديكتاتورية عقلانية،دولية	ديكتاتورية كاريزمية،وطنية
مؤقتة،تقوم باسم الحرية	دائمة،تقوم باسم الأمة

و كلما ازدادت " أطروحة التفسير بالحكم الشمولي " تكاملا،قلت الإشارة أكثر فأكثر إلى الاختلافات الموجودة بين نمط الحكم السوفيتي و الهتلري.لقد تم تحديد نفس الشروط لبروز هذين الحكامين الشموليين و هي : مركزية دوائية،تصاعد للفئات الشعبية،أزمة الدين و الديمقراطية،تزاوج الهزائم العسكرية لكي تترك المجال حر للديكتاتورية. كما قال الكثير بتداخل نتائج هذين الحكامين كذلك و هي: إحتكار إدارة كل النشاطات الإنسانية،سواء كانت خاصة أو عامة،من طرف الحزب و رئيسه،الإرتكاز على الطبقات المتوسطة الدنيا لتذويب كل الطبقات،خلق كنيسة ذات مهمة،حيث تنفرغ هته الكنيسة إلى الدعوة إلى الإله الجديد،إله الدم و الأرض،أو إله المادة.

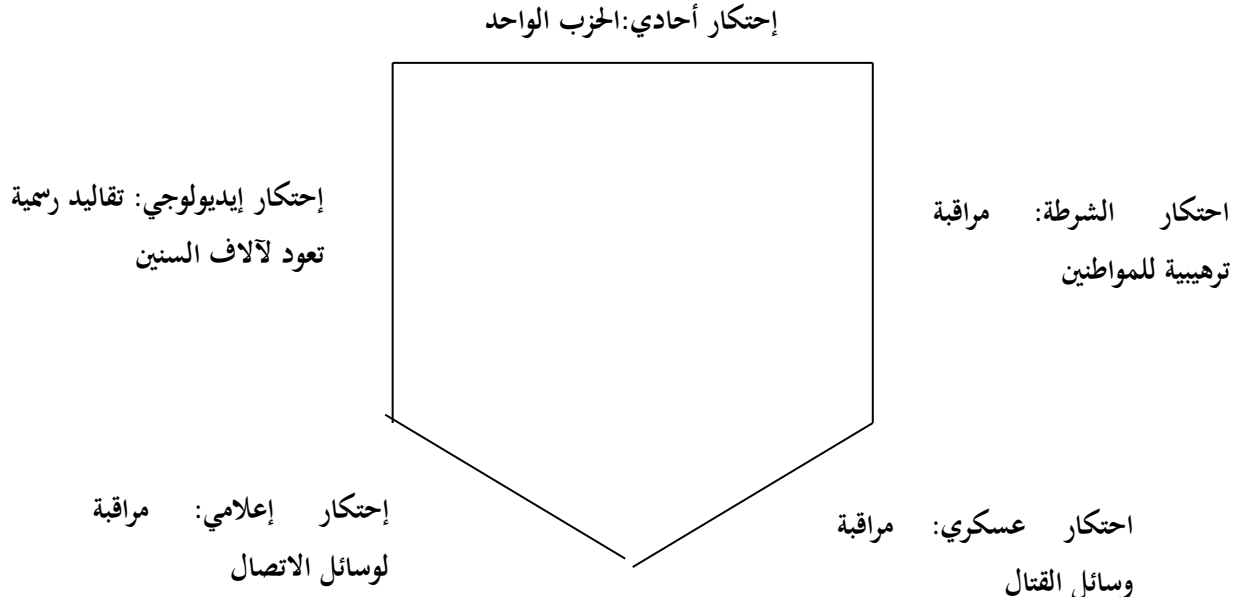
لقد كانت **حانا أرندت Hannah Arendt** أحسن من عمق في مفهوم " الحكم الشمولي " حيث تعتبره في الأخير كمنطق الجنون *Une Logique de la Démence* حيث كتبت :

" لا يهم كثيرا مصدر الحكم الشمولي سواء كان التقليد الوطني أو مصدر الخصوصية: إن النظام الشمولي يحول دائما الطبقات إلى جماهير *Masses* ،يستبدل نظام الأحزاب ليس بديكتاتوريات ذات الحزب الواحد،و لكن يستبدل نظام الأحزاب بحركة جماهيرية *Un Mouvement de Masse* يحرك مركز السلطة من الجيش إلى الشرطة،ويؤسس سياسة خارجية تهدف بوضوح إلى الهيمنة على العالم ."

— **المعنى الجنوني:** . غياب المعنى *Le Non-Sens* أو المعنى الزائد « *Supersense* » *Le Sur-Sens* و هي فكرة قائمة على ما تعجز العقلانية عن فهمه و شرحه في خيارات النظم الشمولية،مثل ذلك عندما راسل **هايدريش Heydrich** هتلر طالبا منه أن يؤجل القتل الجماعي لليهود التشيك،لأنه بحاجة إلى اليد العاملة،لقي طلبه هذا رفضا قاطعا من هتلر .

لقد حاول عالم الاجتماع الأمريكي **دانيال ليرنر Daniel Lerner** تحديد مصدر الإطارات النازية انطلاقا من السجل السنوي للرايخ الثالث،لكي يبرز أن هؤلاء النازيين المجنونين يتم تجنيدهم من فئة الأفراد الذين يعيشون على هامش الحياة *Les Marginaux*.فقام ببناء **مؤشر الهامشية L'indice de Marginalité** من خلال جمع العديد من المتغيرات،و منها: (عدم الاستقرار المهني،الزواج في عمر غير عادي . متقدم أو متأخر . شباب،فشل مدرسي و جامعي،المولد في منطقة حدودية،...)و من خلال تطبيق هذا المؤشر على مختلف فئات المسؤولين النازيين في الإدارة،في الدعاية أو الإضطهاد،**فأكتشف أن كل هؤلاء يمثلون مؤشر هامشية أكبر من 75%.** إن الذين ينشطون النظام الشمولي يتم تجنيدهم من بين أفراد الطبقة المتوسطة الجديدة . موظفين،المهن الليبرالية،مسيرو الأعمال . و،بشكل خاص،من بين مهمشي هته الجماعات الوسيطة.و سنوات بعد ذلك قام نفس عالم الاجتماع بتطبيق هته التقنية على الأحزاب الشيوعية و الصينية،فتحصّل على نتائج مماثلة.

الطريقة الأخيرة للوصول إلى نفس النتائج، أي أن الشيوعية و الفاشية من نفس النظام؛ النظام الشمولي. لقد قام **J. Friedrich** بتحديد خصائص هذا النظام من خلال نموذج مشكّل من خمسة أوجه (ثم من ستة)، وهو ما يمكن تسميته بـ **مجتمع بنتاغوني** (له خمسة زوايا و بالتالي خمسة أوجه).

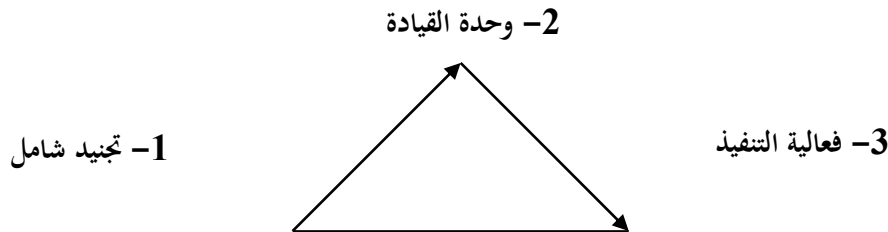


نموذج . البنتاغون . J. Friedrich

فللمرة الأولى نجد في التاريخ نظام سياسي يجمع بين خمسة إحتكارات و يتحكّم لوحده في الإيديولوجيا، الدولة، الشرطة، الجيش و وسائل الاتصال الجماعية (و قد أضاف الإقتصاد). الإحتكارات الثلاثة الأولى قد أصبحت ممكنة بفضل التطور التقني، الإحتكارين الأوليين بفضل التطور التربوي و الذي حسب **J. Friedrich** تنمّي الحاجات لليقين و من هنا الاستعداد لتقبّل الهيمنة و الطاعة.

إن تراكم هته الإحتكارات بيد قوة واحدة، يقود إلى زوال شبه كلّ للمجتمع المدني و إلى إلغاء للرجل الخاص **L'homme Privé** قد يتنوّع المضمون الاجتماعي للنظم الشمولية، و قد تتعارض النهايات التي تعطيها هته النظم لإيديولوجياتها، لكن تتماثل و تتشابه طرقها و هو ما يسمح بتحديدتها من خلال هته الطريقة الشمولية في العمل.

و للبنتاغون الذي وضعه **J. Friedrich** يمكن أن يتناسب معه مثّلث كارل دويتش، هذا الأخير يعتبر أن النظم الشمولية تتجه إلى العمل وفقا لثلاث مراحل:



غير أن كل مرحلة تطرح مشكلة: فالمرحلة الأولى تفرض الهدم المستمر، و إلا نقع في حالة سكون و استحالة التكيف مع الحالات الجديدة، أي انعدام التطور، و المرحلة الثانية تحمّل الرئيس فوق طاقته؛ و الثالثة تتأرجح بين الإرهاب و الإقناع. و بالتالي فإن الحكم الشمولي يخلق انقساماته الذاتية و أسباب انفجاره. و هي نتيجة تفاعلية يعارضها المخطط الثنائي القطبية الذي وضعه **Zbigniew Brzezinski** : العقلانية و الأهداف الثورية تشكّلان قطبا الحكم الشمولي؛ بالتأكيد أنهما في حالة توتر شبه مستمرة، غير أن التكنوقراطيين منشغلين بالحفاظ على الوضع القائم (

محافظين) و متشدّدو التوحيد أو التنبيط *Les Fanatiques de L'uniformisation* يظان متضامين. فهما معا يعملان على تسيير و إدارة النظام، هذا النظام سيكون من الجهل و الغباء التمني بأن يصبح ليبراليا بسبب صعود التكنوقراطيين فقط. و من الغريب أن المؤرّخون الألمانيون الغربيون هم الذين أعادوا ما يعتبرونه تبسيطا لنظرية " النظام الشمولي "، طرح المسألة من جديد، من خلال الإشارة إلى التعارضات بين الشيوعية و النازية :

الشيوعية	النازية	
زراعية	مصنّعة	المجتمع
تهديم للرأسمال	تأييد للرأسمال	الطبقة المهيمنة
اشتراكية / إنتاج	تمييز عنصري / التلاعب بالعقول <i>Manipulations</i>	الإيديولوجيا
توسيع تدريجي	مغلقة (نخبوية)	الطبقة الحاكمة
شرطة، اقتلاع الإعترافات	عسكرية، انتخابية (اختيارية)، إبادة	الترهيب
بناء مجتمع	هدم خالص	النتيجة

ج/- التفسير الإقتصادي: يقوم هذا التفسير على فكرة التعارض الجذري بين الفاشية و الثورة الاشتراكية، إلى حد أن هذا التفسير يجعل من هذا التعارض : **الفاشية (و منها النازية التي تعتبر متغيّر) تهكّل الثورة المضادة للقرن العشرين، النمط الثوري- المضاد الجديد الذي يهبط للمرحلة الجديدة من الرأسمالية، الإمبريالية الأحادية الاحتكارية *L'impérialisme Monopolistique*** . (غير أن بعض الإقتصاديين مثل *Hayek* يقولون بوجود هوية للنظم الشمولية، بسبب دور التخطيط الاقتصادي). و يطرح هذا النوع من التفسيرات تساؤلا محوريا كالتالي: كيف يمكن الخلط بين الدولانية السوفياتية و الحفاظ على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج في ألمانيا، إيطاليا، أو في شبه الجزيرة الأيبيرية ؟.

إن النواة الثابتة للتحليل الماركسية الخاصة بالفاشية، تربطها بالأزمة الهيكلية للرأسمالية المتطورة. **إن الديكتاتورية الفاشية تمثّل خلا للرأسمال المتمدّد**. غير أن هذا المنطق الماركسي في التحليل يتضمن خطر السطحية القائم على اعتبار الفاشية في خدمة الرأسمال الضخم. و هي سطحية تعكسها نظرية الفاشية-الاجتماعية التي بلورتها الأمية الثالثة بمناسبة وصول موسيليني إلى السلطة، لتشمل ألمانيا فيما بعد. و بهذا المنطق، كان ستالين يعكس النظرية اللينينية الخاصة بالاجتماعية-الإمبريالية التي كانت تفسّر الحث الوطني للإجتماعيين-الديمقراطيين خلال الحرب العالمية الأولى من خلال تشكيل تحالف جديد بين البرجوازية المحتكرة و الأرستقراطية العمالية. لقد كان بإمكان الشيوعيون بأن يضعوا الكل في سلة الفاشية، لأن الثورة آنذاك كانت في لحظات قوتها. لكن، و بعد شهرين من وصول هتلر إلى السلطة، أكّدت قمة الأمية الشيوعية و من دون تردد و خوف أن: " تأسيس الديكتاتورية الفاشية المفتوحة، التي تخدم السراب الديمقراطي للجماهير و تحرّهم من نفوذ و تأثير الديمقراطية-الاجتماعية، يجعل سير ألمانيا نحو الثورة البروليتارية ".

غير أنه و بعد سنوات، تغيّر موقف الشيوعيون و أصبحوا يتحدثون عن وجود رأسمال غير فاشي و عن برجوازية ديمقراطية: و بالتالي أصبح من الممكن إقامة تحالفات جديدة تستهدف القضاء على العزلة الدبلوماسية للإتحاد السوفييتي من خلال التقرب من الديمقراطيات الغربية. فإذا كان هذا هو الموقف الماركسي من الفاشية المستند إلى تبريرات و تفسيرات اقتصادية، فإنه يوجد جامعين و/أو سياسيين عملوا على التركيز، و بدرجات مختلفة، على الاستقلال الذاتي النسبي للظاهرة الفاشية، و لو أنهم لم يستبعدوا كلية الارتباط الموجود بين الفاشية و أزمة الرأسمالية المتطورة. و من هؤلاء يبرز اثنين هما: *Charles Bettelheim* الذي يدرس الإقتصاد الألماني تحت النازية و *Daniel Guérin* الذي نشر الفاشية و الرأسمال الكبير. بالنسبة للأول و هو الإقتصادي الماركسي، فإن النازية تستجيب لاحتياجات البنية التحتية: **مدم كفاية السوق الداخلية يجعل من العنصر المحمّل للمحصول على أسواق جديدة، أولا عن طريق التسلّح، و بعد ذلك من خلال الغزو العسكري للأسواق الخارجية**.

أما **Daniel Guérin** المادي التحرري، فيعتبر أنه في مرحلة أولى، أن الفاشية كانت وسيلة الصناعة الثقيلة ضد الصناعة الخفيفة، ولو أن هذا التمييز بين الصناعيتين ينتمي بوصول القوى الفاشية إلى السلطة : " تلجأ البرجوازية للحل الفاشي للإحتماء ضد اضطرابات نظامها الإقتصادي الخاص بها، أكثر من إحتماؤها ضد اضطرابات الشارع ". و بشكل أساسي فإن الفاشية تبدو كوكيل خادمو للرأسمال الكبير، و أن الاستغلال الذاتي لمتة الفاشية يبدو محدودا جدا. غير أن **Daniel Guérin** يعتبر أن استغلالية الجيش (الألماني أو الإيطالي) تؤكد أن البرجوازية تعرضه كيف تبقى مستقلة ذاتيا بالنسبة للأنظمة الفاشية (توقيفه موسيليني في 25 جويلية 1943، عملية الختيال ضد هتلر في 24 جويلية 1944).

و عندما يريد الماركسيون دفع الإعتراف بخصوصية الفاشية إلى أبعد حدودها، فإنهم يلجؤون إلى المخطط البونابارتي. هذا المخطط الذي حدّد ماركس ملاحظه، فإن التفسير يقوم على فكرة أنه في حالة أزمة، فإن البرجوازية قد تلجأ إلى التخلي عن السلطة السياسية للإحتفاظ بشكل أحسن، بقوةها الاجتماعية المهددة.

و عند لمس هذا المنطق على حالة الفاشية، فإن البونابارتية تعني إذن أن الفاشية تشير إلى تجريد سياسي للبرجوازية، و لكن هذا التجريد يكون في مصطلحاتها. و عند عرضه لـ " نظرية الفاشية عند تروتسكي " يشرح **Ernest Mandel** كيف أن الفاشية تهكّل في نفس الوقت، تجسيد و نهى لتوجهات الرأسمال الإحتكاري. يضاف لمتة الخاصة الأولى، خاصية ثانية كشف عنها تروتسكي و هي أن الفاشية تتركز على حركة لجماهير البرجوازية الصغيرة، و هو ما يميزها عن نماذج الدولة البوليسية الأخرى.

كما يمكننا أن نحاول اكتشاف الخطوط الصناعية للإيديولوجيا النازية. و هكذا فإن **Joseph Billig** يعطي قيمة للتنظيم الصناعي لمراكز الاعتقال **Les Camps de Concentration** و التي يرى فيها " نموذج كاريكاتوري لرأسمالية الدولة ".

إذن فالحقيقة النازية موجودة عند هتلر المتعصب و لكن المحافظ كذلك أقل من وجودها عند رجل مثل **Rosenberg** المتحمس الشديد للعلم و التقنيات الذي يقدّس النظرة الصناعية للتاريخ.

د/- التفسير النفسي: في إطار هذا التفسير نتقل من النظام الفاشي إلى الرجل الفاشي، من الإقتصاد إلى النفس. و لتفسير، شرح و فهم واقع جنوبي مثل الهولوكوست، فإننا ننحذب بالبحث في الجانب الجنوبي لأصحاب الهولوكوست.

و الكشف عن هذا السر يمكن أن يكون موجودا في بيسكو-بيوغرافيا **Psychobiographie** للحكام النازيين، أو في بيسكو-سوسيولوجيا **Psychosociologie** الجماهير التي شدّتها هته المغامرة.

لقد استفاد هتلر من وضعية استثنائية، و التي في إطارها تلاقت أمراض الجهاز العصبي **ces névroses** الذاتية مع الاستعدادات النفسية للألمانيين.

فالشباب الألماني الذي عاصر سنوات الثلاثينات، قد عرف في طفولته صدمة هزيمة 1914-1918. فقد واجهوا في نفس الوقت، المجاعة و هزيمة آبائهم. و جاءت أزمة 1929 لتعمل كاضطراب خارجي و بدرجة عالية من العنف، بحيث أدت إلى حدوث عودة لمرحلة الطفولة لدى هؤلاء الشباب. و بعودة الشباب الألماني لكواييس طفولته، فقد أهدوا إلى هتلر فرصة لكي يعكس على الجماهير الألمانية نزاعات غير واعية و التي شكّلت طفولته الخاصة به.

أما بالنسبة لموسوليني فإنه يفلت بسهولة ل البسيكو-يوغرافيا، باعتبار أن لا أحد قد أثبت أنه عرف مرض السيفيليس أو اتهمه بأنه عاجز جنسيا. و بشكل عام تعتبر الدراسات القائمة على تحليل اضطرابات شخصية القائد محدودة و غير كافية، حيث أن التفسير النفسي يستند أفضل على تحليل السلوكات الجماعية.

و قبل اللجوء إلى علم النفس الجماهيري، فإن بعض المؤرخين قد فهموا الفاشية الإيطالية على أنها مرض أخلاقي. و هكذا نجد **Benedetto Croce** يرى في الفاشية على أنها: ضلال و تيه للوعي، أزمة انحطاط القوى المدنية و حالة سكر و الناجمة كلّها عن الحرب.

« *un égarement de la conscience, une crise de dépression civique et une ivresse, produits de la guerre* » غير أن الفضل يرجع لعالم النفس الشيوعي **Wilhelm Reich** الذي شرح الفاشية من خلال علم النفس السياسي للجماهير المقهورة جنسيا

La Psychologie Politique des Masses Sexuellement Frustrées

" لا يوجد رجل واحد يعيش و لا يحمل في بنيته الخاصة بطبعه، عناصر الإحساس و الفكر الفاشيين. تتميز الفاشية عن كل الأحزاب الرجعية *les partis réactionnaires* الأخرى بأنه مقبول و موصى به من طرف الجماهير "

لقد عرفت الفاشية كيف تجيب على قلق الجماهير *L'angoisse des Masses* المنقسمة بين رغبة الحرية و من خوفها من الحرية. إن الفاشية تمثل " الطبقة الثانية الخاصة بالطبع البشري، تلك الخاصة بالاندفاعات الثانوية *les impulsions secondaires* " مثل السادية (*cruauté, sadisme,...*) و أن الفاشية هي " الموقف العاطفي الأساسي للإنسان المضطهد من طرف الحضارة الآلية المتسلطة "، و التمييز العنصري الذي يميزها " هو شكل من الكبت الجنسي الذي يجد مصدره في المجتمع الأبوي أو البطياريكي و المتسلط *La Société Patriarcale et autoritaire* ".

لقد قام الفلاسفة و علماء الاجتماع الألمان المعروفين باسم مدرسة فرانكفورت باتباع طريق التحليل هذا. و كان أول من حاول ذلك **Max Horkheimer** الذي طبق النظرية النقدية و التحليل النفسي على الوسائط التي تربط بين مصالح طبقة (البنية التحتية) و ثقافتها (البنية الفوقية).

و قام بتعميق فرضية **Wilhelm Reich** القائمة على أن رب الأسرة يوجد في قلب هته الوسائط. فهناك ما أن رب الأسرة هذا قد فقد استقلاله الذاتي الاقتصادي في إطار الانتقال من الرأسمالية الليبرالية إلى الرأسمالية الاحتكارية، فإنه لم يعد يتمتع إلا ببريستيج غير محتلاني و سريع الإنكسار.

لقد أوضح **Wilhelm Reich** أن البرجوازي الصغير المضطهد اجتماعيا من طرفه مسؤوله الهيرواركي، كان يضطهد بدوره أولاده جنسيا. و هنا يضيف **Max Horkheimer** أن حالة الأب هته قد تمت عملية تحويلها إلى الدولة.

إذن أصبح باستطاعة **Erich Fromm** أن يبرز و يعكس قيمة الشخصية المتسلطة للرجل الخاضع: " التطلع للسلطة ليس ابن القوة و لكن، هو الولد اللقيط للضعف ".

. « *L'aspiration au pouvoir n'est pas le fils de la force mais l'enfant abâtardi de la faiblesse* » .

و لتوضيح ذلك، لا يكتفي **Erich Fromm** بالتأكيد على أن الفاشية تنجح لأنها تسمح للجماهير بإشباع *les pulsions sado-masochistes* من خلال تعريف الذات مروراً بالسلطات الحاكمة و المهيمنة.

و يقترح **Erich Fromm** أن المشكلة الأساسية لكل فرد تتركز أساسا في البحث عن الإنتماء *Le Problème d'apparentage* أي البحث عن هوية اجتماعية، أو الحاجة إلى الانتماء إلى مجموعة. و يتحقق الإنتماء إما عن طريق الأسرة أو المجتمع؛ غير أن الرأسمالية تميل إلى هدم روابط الهوية هته: " لقد فقدت العلاقات الاجتماعية طابعها المباشر و الإنساني ... ففي كل العلاقات الاجتماعية و الشخصية، فإن قوانين السوق هي القاعدة ".

إن الإنسان الحديث يتعرض لعملية نزع الطابع الشخصي *La Dépersonnalisation*، فالفرد " يبيع نفسه و يشعر بأنه سلعة ". ففي العالم الحديث فإن الروابط العائلية، التي كانت في السابق توفر الأمن، قد تلاشت، و الظروف الاقتصادية بدورها تمنع من تطور هته العلاقات

العائلية. و في مواجهة هذه التحولات، يبدأ الفرد بوضع و تأسيس " ميكانيزمات الهروب لمحاولة الهرب من توتره و وحدته ". إنه يبحث عن الهرب من حريته التي أصبحت حملاً لا يطاق، و هو هروب باتجاه قديمي، القضاء على الآخر؛ الهروب باتجاه التسليطة. إن هذا الهروب من الحرية لا يتم بنفس الشكل لدى كل الطبقات الإجتماعية. فالطبقة الوسطى تقوم بذلك تحت التأثير الشديد لقوة الكبت الاجتماعي الذي تعانيه، و بذلك فهي تجمع بين " ذكرى الطاعة و التعطش للسلطة ". فإظهار (الشاذ جنسياً، المهتمش، اليهودي، الآخر، ...) و الحرب (الإستعمارية أو العالمية) تشبع كلها *ses impulsions sadiques*. و تجد الشخصية المتسلطة، الأمن و الهوية في الفاشية. و يمكن إبراز هذا المسار بالشكل التالي:

